استراتيجية الكتابة عند مالك حداد
–سأهبك غزالة نموذجا–

الطالبة: شاوي فتيحة
المشرف: د/ عقاق قادة
جامعة سيدي بلعباس(الجزائر)

الملخص :

إن دراسة ظاهرة معينة أو معالجة فكرة قائمة تستدعي عنصر التأسيس خاصة إذا كان لقراءة نص أدبي بقيمة فنية، في هذا البحث حاولنا دراسة اللغة ومساراتها لدى الروائي مالك حداد، والبحث في مسألة "اللغة المنفى" كونها شكلت غربته النفسية رغم أنها فتحت له بوابة الإبداع بلغة الآخر، ودراسة لغة الكاتب مترجمة تنزاح إلى حد ما عن الدلالة العامة في اللغة الأصلية المكتوبة بها–اللغة الفرنسية– رغم ذلك حاولنا التقرب من خلال اللغة المترجمة إلى نفسية الكاتب ولغته وهي الأهم في هذه الدراسة، حيث قدم المترجم لغة الكاتب في قالب فني شعري عميق ، عمق القضية المعالجة والموضوع المطروح .مالك حداد كاتب بلغة هادئة ظاهرا، ثائرة عمقا على نفسها في الآن ذاته، هذا الصراع الفكري واللغوي تجسد في رواية 'سأهبك غزالة' موضوع البحث، كمحاولة لكشف عن المنفى اللغوي الذي استقر فيه الروائي دون إرادة منه، والبحث في التقنيات السردية التي تجلت في إبداعه، حتى خرج العمل في حلة فنية مميزة.

***Abstract**:*

In the process of examining a certain phenomenon or investigating a crucial idea, incorporating founded arguments is of a high importance especially when dealing with a literary text with a certain artistic value, in this paper we try to analyze the linguistic elements in Malek Haddad's writing, and to explore the language of the novelist as being the source for his psychological alienation though it opened for him the door of creativity in another culture ,the study of the literary piece translated differs somehow in terms of the general meaning from the original one written in French ,nevertheless we try to get closer through the translated version to the writer's psychology and language which is the main important element in this research, and through which the translator presented the language of the writer in an artistic way, deepening the question analyzed and the topic settled. Malek Haddad writes in a quiet language visibly, rebellious at the same time on itself, this ideological and linguistic conflict is embodied in the novel "I'll give you a Gazelle", the research topic is an attempt to discover the linguistic exile in which the novelist dwelled unwillingly and to explore the narrative techniques that are represented in his style, leading us at the end to this distinctive research paper.

الكتابة الروائية تجربة فنية تؤسس كيانها على حكاية الوجود الإنساني وذاته متمثلة في الشخصيات، وما تحمله من تحديات وصراعات إيجابية وسلبية في الآن نفسه، والطبيعة الإنسانية تجمع كل المفارقات من ألم وفرح وحزن وسعادة، تشمل كل العقد التي يتعرض لها الإنسان، مما يجسد الواقع بشكل ظاهر في الجنس الروائي، والسرد هو انتقال من الصورة الواقعية إلى الصورة اللغوية، وهو"ذلك الوصف المشهور السهل الممتنع، يشمل ضمن وسائله استعراض الأحداث وتقديمها ووصفها، كما يشمل أيضا المذكرات واليوميات والرسائل،وغيرها"[1]، والسرد بهذا يجمل الطريقة التي تقدم بها الشخصيات والحدث والموضوع في العمل الروائي.

والسرد يكون سردا مباشرا باستعمال ضمير الغائب، وبه يكون الكاتب أكثر حرية، للتعليق على الحدث بفنية يستعمل السرد غير المباشر، يتداخل مع الوصف والحوار، وقد يكون السرد ترجمة ذاتية يطغى عليه ضمير المتكلم أو هو مكان البطل، أو سرد من خلال الرسائل والوثائق المتبادلة، ومن أحدث طرق السرد تيار الوعي (المونولوج الداخلي) الحوار الداخلي مع الذات، حيث يقول بارت: "السرد بأشكاله اللانهائية تقريبا حاضر في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة وفي كل المجتمعات، فهو يبدأ مع تاريخ البشر ذاته، ولا يوجد أي شعب بدون سرد، فلكل الطبقات ولكل الجماعات البشرية سرودها"[2]، وفق هذا فالسرد إحدى طرق تقديم رؤية الكاتب في الحياة عن جماعات معينة بالإنتماء لمجتمع واحد، وتكون نظرة الكاتب عميقة أو سطحية، والغاية السردية تحدد وتبرز تفاوت ذلك .

إن الخطاب السردي في الرواية له أوجه، خطاب مسرود، خطاب منقول مباشر يرد على لسان الشخصية، وخطاب منقول غير مباشر يرد على لسان السارد وطريقة تقديم الخطاب يحدد مكونات السرد داخل المتن الروائي في معظمها: "الراوي، المروى، المروى له–السارد والمسرود، المسرود له–المرسل، الرسالة، المرسل إليه."[3] إضافة لعناصر السرد المتمثلة في الأحداث، الشخصيات، الزمن و المكان.

وهكذا ومن خلال ما تقدم نجد أن الروائي "مالك حداد" الذي استطاع بكتاباته السردية الولوج لعالم الإبداع، رغم أنه كتب بلغة الآخر (اللغة الفرنسية)، وفي روايته"سأهبك غزالة"المترجمة للغة العربية بقلم "صالح القرمادي" بتونس سنة 1966م، يقدم له المترجم في مستهل الرواية بقوله: "إلى صاحب هذه الصرخة الحبلى، وساجن الحب الأشقر، والقواميس الألمانية–الفرنسية بفنادق باريس، ومغرق الصحراء، والحي اللاتيني في كؤوس "الروزي" ومبيد الغزلان في أعين عشاق

العرق الشرقي الكبير، إلى الصديق الذي لا أعرفه إلا من خلال صدفة إفريقيتنا..." [4] من خلال هذا التقديم يظهر أن مالك حداد قد ملك لغة فنية أسهمت لحد بعيد في نقل الرواية من لغة لأخرى، حيث استطاع إكسابها جمالا سرديا بلغة مفهومة عكست فكر الروائي لحد كبير.

لقد كانت بداية الرواية على النحو التالي: "ما أعظم الله فهو عظيم بقدر ما أنا وحيد، إني لأرى المؤلف فيبدو لي كأنه لوحة..."[5] إذ إن الروائي بدأ روايته بتمثيل لوحدته المتمثلة في عظمة الله، هذا التقديم سيتوالى في باقي الرواية بنسبة كبيرة، مع ما تخللته الرواية من حوار أغلبه داخلي دعم نزعة تيار الوعي، وتجسدت من خلاله غربة الكاتب، وصراعه مع اللغة التي استعملها ذاتها، كونها كانت لغة المستعمر، فعنون روايته بـ: "سأهبك غزالة" رغم أنها رواية مزجت بين الفكر العقائدي الفلسفي، والسياسي، والاجتماعي بطريقة بقدر ما هي واضحة، فهي مبهمة وعميقة، تمثيلا لهذا: "الغزالة ! يا لها من لفظة شاذة في وسط هذه القوارير، ومع هذا المطر الدسم الملتصق، وهذه السماء المنافقة، وهذه السحب المذعورة بدون داع! إنها لفظة في المنفى، إنها لفظة باردة جائعة، إنها لفظة بقلبها أوجاع وآلام. قال المؤلف: إن الغزالة في الإسطبل الآن، ولم يفهم السيد موريس قوله ذاك..."[6] هذه هي لغة "مالك حداد" لغة مشبعة بالمعاني العميقة ولفظة الغزالة بداية من العنوان هي ذلك الحيوان الأليف ذو الجمال واللطف، وغالبا وظف على أنه امرأة حسناء، فهكذا تغنى بها الشعراء والأدباء، وهي رمز للغة التي تعطي للوجود جمالية، حيث وهب الكاتب للغة الفرنسية هبة هي كتابة إبداعاته بها مرغما؛ لكن لم يهب لها رب الغزالة هي هويته؛ لأن الغزالة بنت اللغة؛ لهذا فمالك حداد يهدي البنت؛ لتتكاثر وتتناسل و تصبح كاسحة على الوجود رغم المعاناة، والغزالة من سماتها أنها فريسة للأقوياء، والقوي لا يحتاج للهبة؛ بل يعول على قوته في عملية الصيد، وهنا كأنما وضع الكاتب فرنسا في موضع المستفيد دونما عناء، فهي القوي، والغزالة هي لغة "مالك حداد" الإبداعية، وفرنسا نالت حضارة بالجزائر وجمال طبيعة، وذكاء فكر من الكاتب نفسه دون جهد.

وعليه فموضوع الغزالة عولج بتحقيق هدفين أو عرضين قضية حب بين يمينة و مولاي هي القضية الظاهرة سردا، والقضية السياسية بين الجزائر وفرنسا باطنا والغزالة أولا: تعني حب مولاي ليمينة، وثانيا: تعني الحرية للجزائر من المستعمر فرنسا، يقول حداد: "إن شعبنا المكافح لا يقيم لغزالته أي وزن..."[7]، لقد قدم مالك حداد في أمثلة عدة أن الغزالة هي: حرية شعب، ويردف قائلا:"... ألفاظا حقيقية من كلام الغزلان :من الجنون يا مولاي أن يريد الإنسان اقتناصي .يجب

الإيمان بي لا مطاردتي..."[8]، وما يعلل أن لفظة غزالة استعملت في مواضع عدة بدلالتين قول حداد: "الرجل الذي يلاحق الحرية، وهو يحمل رسالة إلى الوديان الخضراء"[9]، ويقول في نفس الطرح: "أيها الشعب إني جئتك بالبذر الطيب...، وها أنا ذا أهبك الغزالة المحلوبة من اليأس"[10]، وظف "مالك حداد" عدة توظيفات لمعاني ودلالات الغزالة في مجملها تعني الحقيقة حقيقة الحرية و استقلال شعب سيأخذ حريته ويصطاد غزالته بالقوة مجبرا لا مخير لأن الواقع يحتم ذاك الفعل، لهذا ذكرها الكاتب، حيث كانت حلما وابتسامة جميلة و حقيقة لابد أن تنجلي .

مالك حداد أسلوبه عميق عمق الجملة الموظفة سرديا، إذ أنه استقر في استعماله للألفاظ والجمل على ما تستدعيه تلك الفترة من لغة مكونة للجملة السردية، حيث يحدد معالمها عالم الشعرية الحديث "رومان جاكبسون" في عدة وظائف أهمها": الوظيفة الانفعالية التي تعني المرسل والروائي، الوظيفة الإشارية التي تعني الرسالة، والرواية، والوظيفة الطلبية التي تعني بالمستقبل والقارئ"[11]، حيث تحدد المرسل في الكاتب "مالك حداد" والرسالة في قضية الخطاب الكتابة الفنية كمادة لرسالة الكاتب، والوظيفة الطلبية تمثلت في القارئ بأنواعه.

قبل تحديد ما عين وصفا لدى الكاتب "مالك حداد" وجب تحديد المصطلح عامة، كونه يدخل في ضمن أهم المقاييس السردية التي تضفي على المتن السردي خاصية جمالية لارتباطها بالكائن، فالوصف العام في الرواية يكون لعدة موصوفات بداية من الفعل، الحركة، السكون حركة الشخصيات، وتفاعلها مع حركة الزمن، وفقه يكون التركيز على المشاهد التي تخدم العمل لأدبي، وهدفه المرجو منه، حيث "يستخدم الوصف؛ ليقوم بدوره في تحديد إطار الحدث، وتصوير الشكل الفيزيقي للأبطال والشخصيات الرئيسة، وخلق عالم يؤكد، بفضل تشابه مع عالم الواقع أنه لا يفعل سوى تصوير هذا الواقع ونقله، ولإيضاح بعض الأفكار التي يرى الكاتب أن لها أهمية"[12]، فإذا كان الوصف واقعيا يكون بإفراط في استخدام مظاهر الواقع، وانتباه فيه يكون للجزئيات، أما إن كان وصفا خياليا يكون الوصف في هذه الحالة وصف معتدلا، ويتحدد التركيز فيه على الكليات على الكليات، حيث "إن تتبع تفاصيل دقيقة من أي نوع يحتاج إلى صفحات طوال، وهو أمر لا يمكن أن يؤدي الغرض الذي من أجله يستعين الكاتب بالوصف، ولذلك فإن الوصف عنده يخضع لعملية اختيار، والاختيار ينبع من فكرة أساسية تسيطر على الكاتب ويحاول إثباتها أو نفيها"[13]؛لهذا تباينت طريقة السرد في الرواية الجديدة، حيث تتداخل أشياء كثيرة،

الأزمنة، تعدد الأصوات، عمق الشخصيات، مونولوج، حوار ثنائي خارجي، ووحدة العناصر المكونة للسرد، عكس ما كان سائدا في الرواية القديمة التي اعتمد فيها على الوصف الخارجي.

تمثيلا من رواية "سأهبك غزالة" على استراتيجية توظيف الوصف لاستدعاء السكون والهدوء داخل المتن السردي، نجد أن "مالك حداد" وظف وصفا دقيقا لمعطياته السردية، من شخصيات، ومكان، وزمان، وأحداث، إذ قال: "كانت رائحة الواحة في الصباح كرائحة الخبز المغموس في الماء"[14]، وجاء في قوله أيضا: "كان مولاي يمز من غليونه بملء شدقيه مزات طويلة من الكيف، فكان الماء يبقبق بقبقة خفيفة في وعائه دقيق الحجم، وبعد دور مولاي جاء دور علي في التدخين، كان الدخان بنفسجي اللون، وكانت أعينهما تبرق بريقا، وكان ذلك المخدر يتفسح في غضون أفكارهما"[15]، ففي هذا الوصف غلب التوظيف المجازي العميق الذي يحمل دلالات مشبعة لألفاظ اختيرت بعناية خدمة للهدف السردي وتحقيق وجوده، وفي وصفه للزمان يقول حداد:"...الشمس في أوج قوتها وهي تميل إلى الغروب –مثلها كمثل سيد القوم يلقي أوامره، وهو على أهبة الانصراف"[16] وفي ذكره للمكان "ان باريس تموت شديد الموت إذا نزل المطر" [17]، وفي مجمل ما وظف الكاتب من موصوفات اعترت لغة السرد انفرادا في الحكي المشبع بالسكون والهدوء، عكس هذا قلة شخصياته، وقلة حركتها في النص السردي، وبالتالي سرد الحدث وصفا أكسب لغة الكاتب نوعا من القداسة الهادئة.

وأما العنصر الثاني الذي اعتمد عليه الكاتب في سرده للوقائع و المتغيرات السردية :الحوار الذي هو نوع من أنواع التعبير ويكون في الرواية طويلا أطول استعمال من الفنون الأخرى، وهناك الحوار الفني الذي يعتمد على التعليق على الحاضر والماضي عن طريق الاسترجاع وعملية التذكر، وله خصائص منها: الكشف عن عمق الشخصيات (حوار بين الشخصيات أو حوار داخلي)، والتعرف على طبيعة الشخصيات، وهناك فرق بين الحوار والمحادثة، فبناء الحوار بين الشخصيات يكون بأسلوب حسن وفكر ذكي، والمحادثة هي كلام الحياة العادية، حيث وجب التوازن بينه وبين الوصف لما له "أثر في الإبانة عن بعض سرائر النفوس ومسارب الهوى وإفصاحه عن الأجواء الداخلية من قلق وتطلع أو سلوى أو اطمئنان"[18]،فالحوار بمثابة كشف الغطاء عن ما يختلج الشخصيات من انفعالات ومتغيرات نفسية، حيث وظف في النص الروائي باختصار دون مبالغة ومثال ذلك :"قال السيد موريس: اجلس قرب المدفأة على الأقل.

قال بصوت فظ وحانق، ولكن في لطف أيضا. لقد كانت عيناه مليئتين باللطف لطف اللوم والتعزيز، ثم قال:

أنك بفعلك هذا ستلقي بنفسك إلى التهلكة.

فأجاب المؤلف: لا أن بدني صحيح.

وضحك المؤلف، ثم طلب كأسه المعهودة من الروزي قائلا :...كالعادة إنها عادة والحق يقال.

ثم أردف قائلا: إنه انتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة الثانية يا سيدي موريس، نعم إلى حالة ثانية." [19]

وهكذا فتوظيف الحوار كان قليلا في الرواية إلا ما استدعت الضرورة السردية؛ لتبيان سير الأحداث وحركة الأفعال، فمن خلال هذا التوظيف يتحدد دور الحوار في الرواية كخلق جو النص وتقديم المعلومات التي ارتكزت على عنصر الوصف وتطور أحداث النص مع ذكر نفسيات الشخصيات وحالتهم، وتواتر الأحداث وانعكاساتها، وحوار داخلي (مونولوج) تمثل في النص في "دق جرس التلفون، إن التلفون كالطفل يبكي، ويطالب بلعبة من لعبه، فالأحسن أن ينزل الإنسان عند رغبته على الفور...ألو !ألو ! ...نعم إن الإنسان في مثل هذا الموقف يقول دائما ألو...نعم ..." [20]، إن الحوار الداخلي أو النفسي أو "المنولوج" كما يصطلح عليه نمى نزعة تيار الوعي غالبا عند الشخصية التي تسرد "المؤلف" في الرواية .أما الحوار الخارجي، فكان لعرض السياق الاجتماعي، والنفسي في الرواية تميز بالبساطة أحيانا، وبالعمق إذا ما تخلله الوصف .

تجليات اللغة الروائية عند "مالك حداد" في رواية سأهبك غزالة :

اللغة وسيلة للتعبير لدى الروائي تتجسد من تدوين لأحداث وتسجيلها كتابيا، واختلف استعمالها من مرحلة لأخرى كونها تمثل مادة الشكل للأثر الأدبي، أو ما يعرف بالأسلوب، فقديما كانت اللغة تتميز بسهولة في العرض كتابة "فقد اتجه الكتابة إلى سلامة العبارة وسهولتها، بحيث لا يتكلف القارئ إعمال الفكر في تفهمها، وتجنبوا الألفاظ المهجورة، والعبارات المسجعة، إلا ما يجيء عفوا، ولا يثقل على السمع، وقصروا العبارة، وجردوها من التنميق والحشو، حتى يكون اللفظ على قدر المعنى، ورتبوا المواضيع ترتيبا منطقيا، في حلقات متناسقة، يأخذ بعضها برقاب بعض، وتنطق أوائلها على أواخرها، وقسموا الموضوعات إلى أبواب وفصول، يصدر كل باب أو بلفظ أو عبارة تدل على موضوعه"[21] فكانت في جملتها لغة تسعى للتجديد ومسايرة عصر الفترة لنقل حكاية الكاتب، فيجعلها في متناول شرائح واسعة من المثقفين قصد التجاوب مع

أسلوبه وصولا لفهم رسالته المبتغاة من عمله الفني. فحين نجد أن لغة الرواية المعاصرة توجهت نحو التجديد الظاهر بطابعها الشعري والجمالي المنفرد، الذي شكل نقطة اختلاف بين الرواية العربية القديمة و الجديدة. التي صار هاجسها البحث عن كل ما هو متميز وخارج عن الكتابة المألوفة، مما دفع بالروائي إلى اعتكاف على الإبداع الروائي والتجريب فيه في حقل اللغة لكتابة نص سردي، محاولة منه لتجاوز ما سنه الزمن في الرواية القديمة، فكان التجريب وجها من وجوه التطور في حركة البنية اللغوية للفن الروائي.

ونجد تسول نفس المنحى، إذ حاول معظم الكتاب الجزائريين في الرواية الجزائرية تقديمه في كتاباتهم، فكل مرحلة عكست لغة خاصة بها، وأخذت اتجاهات تعددت بتعدد المراحل، وكان التجديد ظاهرا في تصاعد من فترة لأخرى. واللغة التي عبر بها الروائي "مالك حداد" لغة مستوحاة من الفترة التي كتب فيها الرواية، تلك التي تمثل تفاوتا في المكان بين الجزائر—الصحراء–و فرنسا زمن الشتاء، وذكر كذلك شخصيات بنى وفقها أحداث روايته، فمزج بين شخصيات "غربية" و"جزائرية" مثل: موريس، وجيزال دوروك، وموزار، وبرنار، وفان جوار...و عربيا نادية، مولاي، يمينة الشخصيتان الرئيسيتان في الرواية.

أما الشخصية الساردة أو الراوية تتمثل في شخصية "المؤلف"، والراوي" في مفهوم الدراسات السردية واحد من بين شخوص القصة غير أنه ينتمي إلى عالم آخر مغاير للعالم الذي تتحرك فيه شخصياته، وليس هو المؤلف في الرواية أو القصة أو الصورة، بل هو موقع خيالي ومقالي يصنعه المؤلف داخل النص، قد يتفق مع موقف المؤلف نفسه وقد يختلف"[22]

وجاء في تمثيلات عدة منها:" وكان المؤلف يقول راويا...إن المؤلف ثقيل رزين بينما كان المؤلف يهم بالخروج ....نظر المؤلف غلى يومية قديمة ...وضع المؤلف مخطوطه على الطاولة ..."[23]، فالكاتب بتوظيفه لشخصية "المؤلف" كأنه ينسلخ من فرنسيته التي يسرد بها، وكأنه ليس من يكتب ويبدع، قال حداد: "بينما كان المؤلف يهم بالخروج تذكر أنه لم يكتب العنوان لا على الصفحة الأولى من الكتاب ولا على ورقة الكاغد المقوى الذابلة التي كان المخطوط محفوظا فيها، فرجع أدراجه إلى المكتب، وكتب بحروف كبيرة سأهبك غزالة"[24]، والتمثيل لشخصية المؤلف الموظفة بشخصية عربية، يقول:" لقد خاطبت الناس باستعمال صيغة الاحترام، فأجابوني بصيغة الاحتقار، إنني عربي لقد أصبح ذلك كالمهنة التي يحترفها الإنسان،...إنني عربي لقد أصبح ذلك كاللعنة"[25]. مالك حداد كتب باللغة الفرنسية في الرواية يخاطب الفرنسي أولا لهذا يضمر المعاني

في صور بيانية أو في توظيف كلام غير مفهوم؛ لكن القارئ الجزائري الحامل للقضية الجزائرية آنذاك قد يدرك من خلال ما تعود عليه من الكلام عند العامة، وما شاع بينهم من خلال توظيفه لألفاظ متداولة بين أفراد المجتمع الجزائري، وهي بمثابة شفرات لتوضيح المعنى أو هي ككلمة السر المتداولة بين أفراد الجيل في المجتمع الواحد، خاصة وأن قضية الجزائر في تلك الفترة تتطلب السرية والأمانة، قال "حداد" عن الجزائري في تلك المرحلة: "إذن أنت جزائري...إن اسمي الحرب، وإني ولدت يوم أصبح الشتم غير كاف ويوم أصبح الصبر غير كاف..."[26]ناقش حداد في روايته مسألة اللغة و الهوية، فلا هوية بدون لغة أم والمستعمر زرع لغته في قوم صاروا أبعد عن الوصل بلغتهم العربية، هذا هو التغريب داخل الوطن، إن المحافظة لغة الأصل هي الهوية، والكاتب جسد وفكر لكن دونما لغته الأصلية.

وما سبق يقودنا إلى أن لغة "مالك حداد "لغة راقية شعرية احتوت على العديد من الدلالات الرمزية الهادفة، ووجب التطرق في هذا السياق لمفهوم اللغة الشعرية، إذ نجدها عند "جون كوين" (Jean Cohen): "هي الانزياح عن لغة النثر باعتبار أن لغة النثر عنده توصف بأنها لغة الصفر في الكتابة."[27]، فمصطلح الشعرية (Poetics): خاص بفن الشعر، وهي تعني في مفهومه "القدرة على التصرف في أساليب الكلام، وهي العدول عن المألوف إنها شعرية الفعل والحركة"[28]، فلكل عنصر من عناصر الرواية لغة، فللشخصيات لغة وللزمان لغته، وللمكان لغته، وللحدث لغة، حيث إن اللغة الشعرية "تؤسس البنية، المألوف والاعتياد لترسم شبكة من العلاقات المتداخلة والمتشابكة والمتقابلة والمتعارضة لتقترب من المفارقة التي تؤسس لخطاب جمالي قائم على التشكيل في إطار طرائق التعبير المماثلة والمفارقة" [29] تمنح للنص لذة منفردة تجعل القارئ يستشعر متعة القراءة، ووهج الكتابة وتمثيلا لما جاء منها في رواية "سأهبك غزالة" لمالك حداد، قوله: "إن الأماكن الآمنة لا يقدرها الإنسان حق قدرها إلا في الليل"[30]، وقوله كذلك: "إذا صادف الإنسان شيء جميل مفرط في الجمال رغب في البكاء"[31]، ويردف قائلا: "إن الموتى الراقدين بسفح "الكوكومن" لا أسماء لهم. يا لها من درجة قصوى في كتمان السر بكياسة. ان قصة حياتهم لم يوقعها مؤلف ولا خط اسمه تحتها. وليس ثمة ما يدل على أنهم كانوا يشربون اللبن، وعلى أنهم كانوا ذوي أناقة في حياة الدنيا. إنني لا أريد أن يضمحلوا. إنني شاهد على الحب و حارس للموت."[32] وهكذا فلا ضير أن معظم لغة الكاتب تميزت بالشعرية في السرد والهدوء في الحكي، حيث شغل لغة اعتمد فيها على الصوغ الذاتي للخطاب يؤشر على عودته إلى

ماضيه الشخصي، وفي هذا الصدد يقول "حداد": "إنّ عبارة" كاتب جزائري" تحمل في نهاية المطاف غموضا، من حيث أننا لا نتفق على مضمونها، ولا حتى على كلمة "جزائري" أو على صفة جزائري. إنّ الكاتب هو نتاج التاريخ أكثر منه نتاج الجغرافيا، فالجغرافيا احتمال أما التاريخ فلا. إنني أرى أن كل هذا الغموض، وهذه المعاناة في البحث عن تعريف نشأت من مأساة اللغة، وهذه المأساة تأتي من التعبير الفرنسي لكتاباتنا"[33] ما يحتم توظيف لغة الحلم والتذكر لدى مالك حداد و عنصر الاسترجاع للماضي، وتجسيده كتابة بلغة الآخر.

وبعد هذه الوقفات العجلى على هاجس اللغة و رهانات الكتابة عند مالك حداد أجد نفسي رغم قلة الزاد قد وصلت إلى ثمرة الجهد الضئيل التي ألخصها في مجموعة من النتائج، وذلك على النحو الآتي:

لغة الروائي مالك حداد تتجلى في الهدف، الفكر الإيديولوجي، الصراعات داخل المتن الروائي بكل أنواعها، في الرواية، تقمص دور الشخصية ثم دور الكاتب، ثم دور القارئ، وأخيرا دور الناقد، بالاعتماد على أن القصة المحكية هي قصة الشخصيات الموظفة لا قصة الكاتب. كما فصل مالك حداد بين نظرته إلى اللغة الفرنسية باعتبارها منفاه الرمزي، وكذلك كونها بوابته إلى عالم الإبداع، وما ابرز في روايته معاناته تجاه عجزه للكتابة باللغة العربية قوله: "وود المؤلف لو استطاع الجواب على هذا السؤال. ولكن الألفاظ ازدحمت على لسانه ازدحاما مفرطا. كان في حاجة إلى آلاف القنوات وآلاف الأفواه .كان في حاجة إلى مطر العالم بأجمعه عساه يهجر هذه السحب، ويفرغ هذه الأفكار ويصفي هذه الروايات العجيبة التي لن تكتب أبدا."[34] وكتب حداد يلخص معاناته يقول بنوع من الاعتراف: "إنني في اللغة الفرنسية في منفى، غير أنّ بعض المنافي يمكن أن لا تكون غير مجدية، وإنني أشكر من كل قلبي هذه اللغة التي مكنتني من أن أخدم، أو أحاول أن أخدم بلدي الحبيب"[35] في أقوال الكاتب اختزل كل وصف للغته لهذا، ينتاب الكاتب إحساس بالعزلة، وبفظاعة اليتم، وبالانقطاع عن واقع من المفروض أنّه يمثّل متلقيا لأفكاره وصوره وهواجسه.

هوامش البحث:

[1]- طه وادي: دراسات في نقد الرواية، الهيئة العامة، دراسات في نقد الرواية، الهيئة العامة للكاتب . القاهرة سنة 1989،ص: 42/41.

[2]- رولان بارت :نقلا عن: يوسف الأطرش، الخطاب السردي و مكوناته، مجلة السرديات، جامعة منتوري، قسنطينة، ع1، جانفي، 2004، ص:160.

[3]- سحر شيب:البنية السردية في الخطاب السردي في الرواية، مجلة الدراسات في اللغة وآدابها، فصلية محكمة، ع14، سورية، صيف 2013، ص:3

[4]- مالك حداد: سأهبك غزالة، تر: صالح قرمادي، الدار التونسية للنشر،1968،ص:1.

[5]- مالك حداد: سأهبك غزالة، ص:2.

[6] - مصدر سابق، ص:20.

[7]- المصدر نفسه، ص: 90.

[8]- المصدر نفسه، ص:85.

[9]- المصدر نفسه، ص:74.

[10]- المصدر نفسه، ص:67.

[11]- سلدان رامان: النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار الفكر، القاهرة، ط1991،1،ص:17.

[12]- ثريا العسيلي: أدب عبد الرحمان الشرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1995،ص360 .

[13]- حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط1،سنة 1981،ص: 227.

[14]- مالك حداد: سأهبك غزالة، ص:16.

[15] - المصدر السابق، ن ص.

[16]- المصدر نفسه، ص:17.

[17]- المصدر نفسه، ص:19.

[18]- عبد الفتاح نافع: الحوار في غزل عمر بن أبي ربيعة، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، د م، دت، ص:11.

[19]- مالك حداد: ساهبك غزالة، ص:19.

[20]- المصدر السابق، ص:13.

[21]- جرجي زيدان: اللغة العربية تاريخ آداب، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983،ج4،م2،ص:607.

[22]- عبد الله الناصر هلال: آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 2006، ص:46.

[23]- مالك حداد: ساهبك غزالة، ص:6،12،11،3.

[24]- المصدر السابق، ص:3و 4.

[25]- المصدر السابق، ص:32.

[26]- المصدر نفسه، ص:8.

[27]-كوين جون: بناء اللغة الشعرية، تر: أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة،ص:35 .

[28]-نوارة ولد أحمد: شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس، دار الأمل، 2008،ص10:.

[29]- محمد تحريشي: في الرواية والقصة والمسرح، قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية، دار دحلب، الجزائر (د.ت)، ص:138.

[30]- مالك حداد: سأهبك غزالة، ص:21.

[31]- المصدر السابق، ص:12.

[32]- المصدر نفسه، ص:11.

[33]- مالك حداد: الأصفار تدور في فراغ، تر: أحمد منور، دار الأملعية الجزائر، ط2012،01،ص:52.

[34] - مالك حداد: سأهبك غزالة، ص:22.

[35]- مالك حداد: الأصفار تدور في فراغ، ص:34.